كان وقبائلها «16»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان اللواء٢٠١١ م
يعاني من نقص حاد في الرؤى
ويشكو من إمساك شديد في الطموح
ومن رغبة ملحة في القضاء على «غراندیزر»
وخطف بائعة الخبز التي تزوجت
ولم تودعه بنظرة حالمة، ولمسة أصابع حانية.

كان اللواء٢٠١١ م
ينكر صلته بعصابة الحارة وسرقة الحلوى
ويبكي بشدة أمام عصا أبيه الغليظة
ويحلف أغلظ الأيمان
ببراءته من كسر زجاج نوافذ الجيران
وبتوبته السابعة بعد الألف العاشر
من تسلق شجرة برقوقهم وهرهرة عناقيد أعنابهم،
وبخلو جيبه من «الزعقة» والسجائر والإبر الصغيرة،
وعدم معرفته بمن ضرب زميله المجتهد في المدرسة.

كان اللواء٢٠١١ م
يبتهج كثيراً كلما وقع عصفور في أفخاخه،
ويغني بصوت أجش ونكير
كلما رأى بنت الحارة تتعنوص في مشيتها
وتتمايل بقَدها الرشيق، وتعبق بدلالها المغناج،
ويتأوه بحرقة متلاحقة الأمنيات
كلما تلصص على أرداف بائعة البطاطا الأرملة،
وتذوب على شفتيه كشوكولاتة فتيات أغلفة المجلات،
وينتشي بسعادة بالغة ومكررة
كلما غالط صاحب البقالة في الحساب،
ويدعي المسكنة أمام والدته الطيبة
كلما سألته عن كيفية إضاعته لقيمة مشتريات مصاريف البيت
من الخضروات والخبز والشمع وخلافه..
وتغمره البلادة الكاملة الدسم
كلما طلب منه والده كتابة رسالة معبرة إلى أخيه في المهجر
تشرح أوضاعه وظروف الحياة الصعبة.

كان اللواء٢٠١١ م
يتذمر عندما يكلف بنظافة مداخل منزلهم العتيق
لأنه قد صار على أعتاب الرجولة
ويصرخ في وجه صديقه الأبكم
إن غنى ولم يشجعه على شجو المطلع،
ويلعن أجداد بائع الحلوى والمشروبات الصنعانية
إن لم يسقه من شراب الزبيب على سبيل تذوقه،
ويتشيطن في نظراته تجاه مراهقة عابرة
إن سألته عن أقرب محل للاتصالات وبيع الورد،
ويتعارك مع مجنون الحارة الأصلي،
إن لم يفرغ له ما في جيوبه من ريالات الصدقة،
ويسر كثيراً من ثرثرة الصغار
وهم يحكون أسرار شقيقاتهم الجميلات،
ويمزق ملصقات المرشح الانتخابية
إن لم يجد فيها وعوداً كاذبة بالقضاء على الفقر
ويكر ضحكاً من العمال العاطلين وهم يبحثون عن أحذيتهم وأشيائهم،
التي تركوها أثناء قيامهم بالوضوء في الجامع
وقام بإخفائها خلف الأبواب..
ويكتب على جدران الحارة بخطه الرديء
عبارات الحب التقليدية، وشتائم الكبار البذيئة
وكلمات الإشادة بشخصيته البطولية
وأول حرف من اسم الفتاة التي أحبها من طرف واحد
ولم تمنحه حتى نظرة سلام..
ويسخر منه الغباء حتى الغليان
إن سأله شقيقه الأصغر ماذا يريد أن يكون في المستقبل؟!

كان الشغب
يتهم شيخ حارته بمغازلة القرويات الساذجات
وهيامه المجنون بالأفريقيات العابرات
وبالتعصب المكربن لأفكار متطرفة
وبالتستر على الهاربين
من حصص التربية الوطنية،
وبرصد غير المتحمسين لإشعال الحرائق
وتربية الفوضى في حدائقهم الخلفية.

كان الشغب
يعشق لعبة البلياردو وألوان الفوضى
والوجبات السريعة وتدخين الأوهام، والقات «القطل»،
ويقضي ليله في الفسبكة وتأجيج خياله
بالدردشة مع أنوثة عابرة، وتصفح مواقع الجنس،
وينام حتى يتم إيقاظه
للمشاركة في مظاهرة عارمة
ضد محل النت المغلق.

كان الشغب
يطالب وزارة البطالة بوظيفة محترمة
وبزوجة للاستعمال الشرعي، وأخرى للنكد اليومي
وثالثة من باب الاحتياط، ورابعة للتحلية،
وبشقة مجهزة ضد اختراق الشائعات،
وبرحلة يومية إلى سوق القات
وبأمين صندوق للمصروفات على مدار٢٤ ساعة،
وبمرافق يقوم بالتوقيع بدلاً عنه
وبعطل رسمية على مدار العام..
وبشهادات تقدير وخبرة
يعلقها في جدران المقيل
ليتحدث عنها الجميع بزهو عالي الهمة.

كان الأصلع
يحرص على تلميع نفسه
ليبقى مرآة عاكسة لواقعه المعاش..
يتباهى كثيراً بنصاعة رأسه
واستقامة وأداء واجباته على أكمل وجه..
وحين تأخذه نشوة الغرور إلى أقصى مدى
يسأل بصلف وعنجهية المدعو محمد القعود
عن رأيه في كتابة مذكراته التي تراوده،
لتكون دليل حياة وتفوق ونجاح
لجميع صلعان الأرض النوابغ والتوابع،
وصفعات لامعة لأصحاب الصلعات
التي بتناطحها تهدد استقرار الوطن..
وبخبث ماهر يسأله هل ستلقى مذكراته رواجاً كبيراً
وخاصةً لدى مراهقات وبنات الشات
وهاويات «البلاك بيري»
ومن يعانين من تخمة الفراغ المخملي..
ويشطح في أوهامه الغزيرة
عن ضرورة ترجمتها إلى اللغات الحية
من باب تعميم الفائدة!!

كان الأصلع
يحتزم بالجنبية، ويدخل ساحة «المبراع»
يندمج مع إيقاع الرقصة الحربية،
و«الهوشلية»
حتى ينضح العرق من جميع «أزغانه»
ويشتد، ويتغايد، ويدور
ويكر ويفر، ويندفع ويرتد، ويحاور ويناور
ويرهق رفاق الرقصة من ذوي الخبرة التراثية،
حتى ينفرطوا وتذوي فيهم الجذوة،
ليبقى هو الوحيد الذي في رأسه لمعة
وفي أوردته رغبة لمواصلة الرقص والاشتعال.

كان الأصلع
يخترع لغة جديدة للغزل ومخاطبة الحياة
وأسلحة فكرية لخوض المعارك وحروب اللغة
ونظريات فيزيائية جديدة لاكتشاف عوالم جديدة
واكتشاف مصادر أخرى للطاقة..
ويفك شفرات جينية غامضة،
ويتوصل إلى طاقات كامنة في الدماغ، لم تستغل بعد،
ويحضر ألواناً ومسارات غائبة عن البشرية
ويستخرج ثروات وكنوزاً من باطن الأرض
ويركب معادلات كيميائية لخدمة البشر
ويدون وصفات للسعادة،
وعلى الرغم من ذلك
لم يستطع التوصل إلى حل
يمنع العين من أن تذرف دمعتها
لو رأت طفلاً يبحث عن كسرة خبز!!

كان البغل
يرفس الهواء، ويعلن لرفاق الحظيرة بافتخار:
عن اقتراب ميلاد عصر البغال
وسقوط عصر الأحصنة،
وعن اقتراب عهد سفن الصحراء الفضائية
وانتهاء عهد الجِمال.

كان البغل
ينفث دخان سيكاره الفخيم
ويصرح بحماس منقطع النهيق :
في العهد الجديد ستوزع الأعلاف بالبطائق الإلكترونية
وستقسم المناصب على جميع الحظائر
وسينام الجميع بعد إطفاء الفوانيس..
والويل لمن يطالب بحصة شعير إضافية
أو ينهق من دون تصريح رسمي
أو يسير في مظاهرة تندد بختان الإتان
أو يعتصم ضد رموز الحظيرة،
أو يحتج على خياطة أفواه الجياع وفروج البهائم
أو ينساق خلف شعارات حقوق الحيوان
أو يهدد بالإضراب عن الطعام وأكل البرسيم
أو يطالب بانتخابات نزيهة وتأسيس برلمان
أو ينوي الالتحاق بمدارس محو الأمية وتعلم الكتابة
أو يمارس حقوقه الزوجية من دون علم جهاز أمن الحظيرة،
أو يعتزم التعلم للسير على قدمين طليقتين
أو يندد بندرة المياه واتساع ثقب الأوزون،
أو يحلم بصورة مع نجمة البغال السينمائية
أو يتحالف مع بغال الأرض الحرة
أو يشاهد ويستمع لما تبثه قنوات الروث الإخبارية
أو يشكك في ذمة أمين بيت العلف النزيه
أو يوسوس بالسؤال عن أهمية الرأس والمخ والفكر والتفكير
أو يبث ضرطاته الاحتجاجية ضد الوضع العام..
أو... أو... أو... أو...
ثم يبتسم للكاميرات الأجنبية
تعبيراً عن مساحة الحرية
ويرفع حوافره الذهبية تحية لجماهيره الغفيرة.

كان الصبر
يتغاضى عن أمورٍ كثيرة
ويقنع نفسه بتبريرات موضوعية،
يبلع غصّاته، ويطفئ فتيل انفجاراته
ويتعوذ من مصّاصي دماء الشعوب وأدعياء الوطنية
ومن شياطين البشر.

كان الصبر
يعضّ على نواجذه
ويهيل النسيان على جروحه،
ويتساهل كثيراً مع مَنْ ينغّصون حياته،
ويتعمّد أن يبتسم أمام أطفاله
وأسرته الكبيرة الذابلة من الجوع والقلق.

كان الصبر
يتسامح كثيراً .. كثيراً، ويتنازل دوماً عن حقوقه،
ويتناسى آلامه، ويحتسب أجره على اللّه،
لكنه يعاهد نفسه على مقارعة الظلم
وتحويل جسده إلى عبوّة ناسفة
إن حاول أبطال المسلسلات الكارتونية
التحكم في زمام أموره،
أو كسر إرادته الحرة.

* مقاطع من نص طويل

إصدارات ثقافية

«لا راحة للميت» رواية من تأليف ستة وعشرين مؤلفاً

■ تجربة غير مسبوقة في عالم الأدب، أن تصدر رواية من تأليف ستة وعشرين مؤلفاً يكتبون باللغة الإنكليزية بينهم كاتب لبناني، انطلقوا جميعاً من حبكة واحدة وتصور كتبه لهم رئيس تحرير مجلة «ستراند ماغازين». عنوان الرواية «لا راحة للميت»، وهو عنوان يعطي إجابة على أي دهشة حول هذا الخبر عندما نعلم أنه انطلق من عالم رواية الجريمة التي تثبت نفسها بقوة في المشهد الأدبي بأفكارها غير التقليدية وجرأتها في التجريب على مستويات الشخصيات والأسلوب والحبكة.

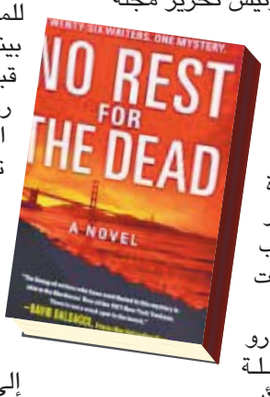

قبل أربع سنوات، أراد أندرو غوللي رئيس تحرير المجلة الأميركية المختصة في الأدب البوليسي والقصص القصيرة القائمة على الغموض والجريمة والتشويق، أن يبدأ مشروعاً في عالم النشر يخصص ريعه لأبحاث السرطان، وذلك في الذكرى العاشرة لرحيل والدته ضحية هذا المرض. في البداية فكر بإصدار مجموعة قصصية أقرب إلى الأنطولوجيا يساهم فيها كل كاتب بقصة تشويق بوليسية، إلا أن دار النشر (رايمون آند شيستر)، ردت بقولها إن بيع الأنطولوجيات ليس رائجاً تجارياً بحسب تجربتها، وإن الرواية هي التي تحقق مبيعات أكثر الآن. وانطلقت التجربة باثني عشر كاتباً من أصدقاء غوللي ممن يساهمون عادة في المجلة المذكورة. وبدأ المشروع بأن كتب هو المدخل عن امرأة أعدمت ظلماً بتهمة قتل زوجها، ومرره إلى الكاتب الأول، وهكذا دواليك. وبعد انتهاء الكتابة وجد أن ما بين يديه من فواصل غير كاف لتقديم رواية متماسكة وقوية. لذا، دعا مزيداً من الكتاب للمساهمة في هذا المشروع الكتابي، من بينهم الكاتب جيفري ديفر الذي أوكلت إليه قبل فترة مهمة كتابة آخر جزء من سلسلة روايات جيمس بوند التي يتم تحويلها عادة الى أفلام سينمائية.

تنطلق رواية «لا راحة للميت» عبر المحقق جُن نان الذي ساهم في تحقيقاته بالوصول إلى حكم الإعدام على المرأة، لكونها المتسببة بقتل زوجها كريستوفر توماس أحد المسؤولين عن متحف سان فرانسيسكو. ولكن بعد عشر سنوات على تلك القضية كانت التداعيات قادته إلى نتيجة جديدة مفادها أنه ظلم تلك المرأة، على رغم أن الوقت كان متأخراً على إنقاذها بالطبع. يقرر إعادة فتح التحقيق من خلال استدعاء كل من كان في المكان في تلك الليلة التي قتل فيها توماس، واستعادة التفاصيل كلها مرة أخرى بعد مساءلة الأشخاص عن التفاصيل الدقيقة للحادث. «إنها ليست رواية أخرى لأغاثا كريستي تنتهي بمعرفة الجاني» يقول غوللي، «فهناك فلاش باك» يستعيد لحظات الماضي للأشخاص، وهناك حياة المحقق التي تأثرت سلباً نتيجة هذا القرار، ومحاولة التطهير والتكفير عن الذنب تجري في حياة هذا المحقق فيتغير معها مجرى حياته تماماً.

تمدد المشروع على أربع سنوات لأسباب عدة، منها العثور على المؤلفين المناسبين الذين يقبلون بأجور رمزية ضمن هذا المشروع الخيري، إضافة إلى العمل التحريري الذي بذل فيه جهداً كبيراً مع شقيقته لاميا المتميزة في مجال التحرير، وكل ذلك لتأمين أسلوب شيق يربط بين الفصول المختلفة، ويتابع التناقضات والحكايات الفرعية الخارجة عن السياق الأصلي للحكاية.

من بين المساهمين في كتابة هذه الرواية يلفت الانتباه كاتب عربي اسمه رايموند خوري، وهو لبناني الأصل، هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٧٥ هرباً من الحرب الأهلية وكان فتى. عاد إلى لبنان ليكمل دراسته في هندسة العمارة في الجامعة الأميركية، وفي هذه الفترة رسم تصويراً تخييلياً لكتب أطفال تشرف عليها جامعة أكسفورد. بعد اشتداد الحرب الأهلية غادر مرة إلى لندن حيث عمل في أحد مكاتب الهندسة، إلا أنه اتجه لاحقاً إلى مجال الاستثمار المالي، والتقى برجل مصرفي واتفقا على فكرة إنتاج فيلم كتب له السيناريو، وحاز النص على ترشيح القائمة القصيرة لجائزة فولبرايت. أما الفيلم الثاني فكتبه من وحي سيرته الذاتية عن سنوات دراسته في الجامعة في ظل الحرب الأهلية اللبنانية وقد رشح ضمن القائمة القصيرة أيضاً. وراح عمله ككاتب ومنتج لأعمال درامية يروج بين بريطانيا والولايات المتحدة، وفي عام ٢٠٠٥ حوّل سيناريو «آخر فرسان الهيكل» إلى رواية حققت شهرة واسعة وظهرت في قائمة البست سيلر، بحسب قائمة نيويورك تايمز، الأمر الذي ساعده على تكريس نفسه كروائي.

من جهة أخرى، يقول بيتر جيمس رئيس جمعية كتاب الأدب البوليسي في بريطانيا في تصريح لصحيفة الـ «غارديان»، عن تجربته في كتابة في هذه الرواية: «لم يكن مسموحاً لنا قراءة ما كتبه الآخرون، وتم إعطاؤنا الخطوط العريضة فقط. لذا، فإن كتابة النص كانت من أصعب التجارب في حياتي. إنها أشبه بلعبة بين أشخاص عدة تقوم على خلق قصة، كلمة كلمة من شخص لآخر». إلا أن جيمس يتعجب من النتيجة بعد انتهاء الكتاب، إذ يرى أن الأسلوب نجح كثيراً والرواية جيدة ولا يمكن فرز الكتّاب بسهولة.

يقول غوللي صاحب المشروع إنها المرة الأولى التي يجتمع في كتاب واحد كل هذا العدد من الكتّاب المشهورين بانتمائهم إلى قائمة أكثر الكتب مبيعاً. وغوللي نفسه ساهم في كتابة المقدمة وبعض الفصول أيضاً. ويعتقد أن القارئ لن يشعر بالفرق الكبير بين أسلوب وآخر لأن التحرير ساهم في وحدة النص في شكل أو في آخر.

أما الروائي الأميركي ديفيد بالداتشي الذي كتب المقدمة للرواية وهو أحد المشتركين في المشروع، فعبر عن دهشته من هذا المنتج النهائي المتعدد الذي انطلق «من فكرة واحدة ومخيلة واحدة».

هل ينطبق على هذا المشروع تعبير «كثرة الأيدي تفسد الطبخة»؟ تتساءل صحيفة ديلي تلغراف من دون أن تقدم أجوبة، وتقول إن هذا ما سيكتشفه القارئ بنفسه بعد انتهائه من قراءة هذه الرواية.

النمر الأبيض

■ جاء العدد الجديد من «إبداعات عالمية» والصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت متضمنا ترجمة لرواية «النمر الأبيض» للمؤلف الهندي ارافيند أديغا.

ووفقا لوكالة الأنباء الكويتية يستعرض أديغا في روايته الحياة السياسة والعقائدية والاجتماعية في الهند بكل تناقضاتها وأشكالها من خلال سرد قصة حياته منذ النشأة في قريته الفقيرة حتى ذهابه إلى المدينة النابضة بالحياة ورسم صورة لطبيعته وشخصيته في كل مرحلة من مراحل حياته.

وفي ظل التناقضات التي تشير لها الرواية ما بين الظلام والتعفن والنفايات والأمراض إلى المدينة الحديثة بأنوارها الصاخبة تنمو وتتشكل شخصية بطل الرواية من قروي ساذج إلى قاتل محترف ومنه إلى رجل أعمال متمرس.

ويدرس الكاتب في الجانب الثقافي للرواية المجتمع الهندي بطوائفه وفوارقه الاجتماعية والثقافية مستخدما بالسرد لغة سهلة وبسيطة قريبة من اللغة اليومية، وقد قام بترجمة الرواية من الإنجليزية للعربية الدكتورة طيبة صادق ومراجعة الدكتورة زبيدة اشكناني.

يذكر أن رواية «النمر الأبيض» لأديغا حازت شهرة كبيرة بعد فوزها بالبوكر البريطانية، وترجمت إلى عدد كبير من اللغات العالمية.